مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث
Journal of Scientific Development for Studies and Research (JSD)
P- ISSN 2709-1635 E-ISSN 2958-7328

المجلد 4، العـدد، 13، آذار/ مارس (2023)
Volume 4, Issue 13, March
ص 203– 222

شخصية المرأة ودورها في الصراع والنهوض الحضاري (قراءة نقدية في قصة ملكة سبأ)

[1] د. عُلا علي محمد الحوثي*
[1] جامعة صنعاء (اليمن)

The personality of the woman and her role in the struggle and the advancement of civilization
(A critical reading of the story of the Queen of Sheba)

[1] Dr. Ola Ali Muhammad al-Houthi*
[1] https://orcid.org/0000000316336863
[1] Sana'a University (Yemen), alolaali202083@gmail.com

تاريخ الاستلام: 25/ 2022/10 تاريخ القبول: 15/ 1/ 2023 تاريخ النشر: 31/ 03/ 2023

ملخص:

قدم النص القرآني شخصية المرأة وحدد أدوارها؛ لتصبح أنموذجًا عالميًا يتناسب مع ما وجه الله الإنسان إليه ليكون مستخلفًا في الأرض، وشكل صراع المرأة دورًا مهما في النهوض الحضاري لاسيما شخصية المرأة في النص السردي القرآني، إذ تجلى الصراع من خلال انفعالات شخصية المرأة النفسية الفكرية والدور الذي عرضه النص القرآني في بنيته، ومن ثم فإن الإطار المنهجي لهذه الدراسة سيعتمد على المنهج البنيوي التكويني ومايتولد منه من بنى نفسية وفكرية كشفت عن شخصية المرأة ودورها في الصراع و النهوض الحضاري.

مشكلة الدراسة: كيف استشرف النص القرآن وقوع الصراع ؟ وما دور شخصية المرأة في النهوض الحضاري؟

أهداف الدراسة:

الكشف عن الصراع المرتقب من خلال الأنساق النصية في قصة ملكة سبأ.

الكشف عن دور شخصية المرأة/ملكة سبأ في النهوض الحضاري.

ماتوصلت له الدراسة أن هدى الله والعامل الإيماني لشخصية المرأة شكل السبب الرئيس في النهوض الحضاري.

كلمات مفتاحية: شخصية، المرأة، الدور، الصراع، النهوض الحضاري، قراءة، نقدية، ملكة سبأ.

Abstract:

The Qur'anic text presented the character of women and defined their roles; To become a global model commensurate with what God directed man to in order to be the ruler on the earth, and the struggle of women formed an important role in the advancement of civilization, especially the personality of women in the Qur'anic narrative text. Then, the methodological framework of this study will depend on

* المؤلف المرسل.
* **Corresponding author**.

the formative structural approach and the psychological and intellectual structures generated from it that revealed the personality of women and their role in this struggle and the advancement of civilization**.**
Uncovering the anticipated conflict through textual patterns in the story of the Queen of Sheba**.**
Revealing the role of the personality of the woman/Queen of Sheba in the advancement of civilization**.**
Keywords: personality, women, role, conflict, civilizational advancement, reading, criticism, the Queen of Sheba.

مقدمة:

يُعدُّ مصطلح الشخصية مصطلحًا محدثًا، وعنصرًا أساسيًا في القصة، ذلك أن الشخصية تصنع الأحداث وتشكل منظومة متداخلة متشابكة مع بقية عناصر القصة، ونستطيع التعرف على الشخصية من خلال الحدث والحوار الذي تقوم به، ومن خلال التشخيص الذي يصدر من الآخر عنها، وقد جاء في معجم الوسيط أن "الشخصية صفات تميز الشخص عن غيره، ويقال: فلان لا شخصية له: ليس فيه ما يميزه من الصفات الخاصة[1]، كما ورد مدلول الشخصية في العمل القصصي بمعنى الفاعل الذي يقوم بالفعل ويكون مدار المعاني الإنسانية التي يتفاعل فيها الوعي الفردي مع الوعي الجمعي[2] إلا أن تتبع سير الشخصية لا يضفي على العمل السردي تشويقًا إلا عند تتبع الأسباب والدوافع التي دعتها لذلك، وإلقاء الضوء على تطور الحدث وتعقده؛ ولذا فإن شخصية المرأة في القصص القرآني تأخذ مكانها باعتبارها إنسانًا لها وجودها الإنساني وما يخضع له هذا الوجود من ضرورات الحياة، ولها شخصيتها التي تعبر عنها بالإرادة المتحررة والفكر، إذ تبرز شخصية المرأة في القصص القرآني عنصرًا فاعلًا من عناصر العمل القصصي، لكننا لا نجدها إلا حين يستدعي الحدث وجودها، فليست المرأة في القصص مقصودة لذاتها، بل تأتي حين يكون لها دورًا ومكانًا في الحدث الذي تخير النص القرآني عرضه، أيًّا كان هذا الدور، وتبرز حيث تحقق هدفًا معينًا.

والحديث عن الشخصية مرتبط بصراعها ودورها في النهوض الحضاري، ذلك أن مفهوم الصراع يكاد يكون روح الحياة، وهذه من المسلمات التي نادى بها الفلاسفة والمفكرون القدماء والمحدثون جميعًا، إذ أصبح قانون الحياة الأزلي الذي يحتكم بقوانين الحياة والعلاقات بين الأفراد، وهو – أيضًا– وسيلة الشخصية للتعبير عن مكنوناتها التي تكمن في أعماق نفسها، أو رغبات تتمنى تحققها.

وقد ورد الصراع في لسان العرب عن مادة (صَرَعَ)، والصَرْعُ: الطّرحُ بالأرض، وخصَّه في التهذيب بالإنسان، صارَعَه، يَصْرَعُه، صرْعًا،... والمصارعة والصِّراعُ معالجتها أيُّهما يَصْرَعُ صاحبه[3]. يقول الزمخشري "ومن المجاز بات صريع الكأس، وغُصن صريع متهدّل: ساقط على الأرض، وصرع الشجر إذا قُطِعَ وطُرِحَ"[4] ، فالصراع في المعنى اللغوي يعود معناه إلى النِّزاع، والشِدَّة، كذلك في المعجم الفلسفي فقد ورد أن " الصراع في الأصل نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلب على الآخر بقوته المادية ...ويطلق مجازًا على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى، كالصراع بين رغبتين أو نزعتين أو مبدأين..." [5] .

ويمكننا القول أن الصراعُ يمثِّل في بعض أبعاده عنصرًا خلاقًا من العلاقات الإنسانية يؤدي إلى التغيير وتنمية الذات، ويرتبط مفهوم الصراع بالمفاهيم الأخرى كالاختلاف، وعدم الاتفاق، والمشكلة، إلا أن مفهوم (الاختلاف) يُنظر إليه بصفته طبيعة بشرية وأمر من أمور الحياة العادية، ولم يخلُ تاريخ العرب من مظاهر الصراع؛ لكونه سبيلًا للحرية والنمو والتغيير البناء. ومامن كائن إلا ويخوض صراعًا، وهذا ما أكدته نظرية (**هرقليطس**) التي ترى أن "الحياة الطبيعية تتألف من قوى متعارضة متنازعة كل منها في تجاذب وصراع مع القوى الأخرى"[6] .

وإشارة إلى ذلك فإن الدراسة ستتبنى مفهوم الصراع الخلاق الذي يضمن للحياة الاستمرارية والتجدد، لا الصراع السلبي الذي يقوم على إلغاء أحد الطرفين المتصارعين، فالصراع الخلّاق صراع تكاملي [7] ، واتسامه بالتضادية يكشف عما في نفس الذات من رغبات ودوافع كامنة، وعن رؤاها ومواقفها على المستوى الفردي والجمعي.

والنص القرآني عرض شخصية المرأة في قصة ملكة سبأ والعوامل المحددة لتلك الشخصية في جانبها الفكري والاجتماعي والثقافي، وفي صراعها مع الظروف المحيطة بها، فتجلت شخصية المرأة في النص السردي القرآني شخصية واقعية يعرضها الله سبحانه؛ ليزودنا من تجارب البشرية بالهدى والدروس التربوية والأخلاقية.

وخلاصة القول: إنَّ شخصية المرأة ودورها في الصراع والنهوض الحضاري الذي بصدد تبنيه للدراسة يتمثل في التفاعل الديناميكي بين شخصية المرأة (ملكة سبأ) في قصة نبي الله سليمان (عليه السلام)، وصراعها المرتقب وقوعه، ودورها في النهوض الحضاري من خلال قراءة النص السردي القرآني للقصة.

مشكلة الدراسة: تمثلت مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- كيف استشرف النص القرآن وقوع الصراع بين المرأة/ملكة سبأ، ونبي الله سليمان (عليه السلام)؟

2- ما هو الدور المحوري لشخصية المرأة/ملكة سبأ في النهوض الحضاري الذي تحدث عنه النص القرآني؟

3- ماهو العامل الرئيس للنهوض الحضاري الذي كشف عنه النص القرآني؟

ومن خلال الإجابة عن هذه التساؤلات سيتجلى دور المرأة في النهوض الحضاري قديمًا وقابليتها واستعدادها للعلم والمعرفة والإصغاء وسعة أفقها وقبولها للحق، وهذا بدوره سيشكل عاملًا مهمًا للمرأة في تبنيها للنهوض الحضاري في كل مكان وزمان.

أهداف الدراسة:

1- الكشف عن الصراع المرتقب من خلال الأنساق النصية في قصة **ملكة سبأ**.

2- الكشف عن دور شخصية المرأة/ملكة سبأ في النهوض الحضاري.

3- الكشف عن عامل مهم من عوامل النهوض الحضاري لكل زمان ومكان.

وهنا يأتي دور القراءة الاستكشافية للصراع في العينة المختارة من القصص القرآني.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة العنوان الاعتماد على المنهج النسقي الداخلي المتمثل في المنهج البنيوي التكويني، لما يتميز به هذا المنهج من قدرة على الغوص في أعماق النص باكتناه علائقه، ومن دِقَة في الكشف عن صراع شخصية المرأة، وما ينبثق عنه من خلفيات نفسية واجتماعية وثقافية، ويعود هذا التميز إلى طرائقه في الكشف عن النظام الذي يحكم العلاقات اللغوية؛ كونه ينطلق من دراسة العلاقات بين البنيات ودلالاتها، وربط البنية اللغوية الداخلية بالبنية الاجتماعية الخارجية.

المبحث الأول

تجليات الصراع في قصة ملكة سبأ

تجلى طبيعة الصراع في قصة ملكة سبأ صراعًا عقائديًا دينيًا، ومن خلال النظر بين طرفي الصراع نجد أن الطرف الأول يتمثل في نبي الله سليمان (عليه السلام)، وهو طرف (الموحدين)، والطرف الآخر ملكة سبأ وقومها (عبدة الشمس).

ونلحظ في النص السردي لقصة ملكة سبأ أنَّ ثمة صراع محتدم مرتقب وقوعه، وقد استشرف النص القرآني ذلك الصراع في قصة ملكة سبأ، إذ تمثل مشهد الصراع في خطاب سليمان وانعقاد المجلس لكل منهما، ويمكننا تقسيم مشاهد الصراع إلى المحاور الآتية:

1- عملية الجمع والحشر (مشهد الصراع الأول):

افتتح النص السردي في قصة نبي الله سليمان (عليه السلام) مع ملكة سبأ وقومها بالحديث عن ملك سليمان الذي أعلن للناس في أول خطاب له عن المقدرة التي أنعم الله بها عليه، وملك والده وعلمه ونبوته والريح، والجن، ومنطق الطير في قوله تعالى:(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ 16) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ). وكان ذلك بمثابة التمهيد لأحداث الصراع مع ملكة سبأ التي أوتيت أيضًا من كل شيء، وإن لم تبلغ مابلغ سيدنا سليمان (عليه السلام) من النعم.

والمتأمل في النص السردي في قصة نبي الله سليمان (عليه السلام) يجد أن خروجه مع ما أوتي وحشر له من الجن والإنس والطير، كان خروجًا لمسيرة جهادية ،كما هي طبيعة ودور أنبياء الله في أرضه، وقد اعتمد سليمان (عليه السلام) على الإخبار –قبل بدء مسيرته الجهادية – عما أنعم الله عليه من نعم تعينه في خروجه، فابتدأ منطوق نبي الله سليمان بقوله:﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[النمل:16] وجاء هذا الإخبار في سياق ماحُشر له، إذ أتاه الله من كل شيء، وقدم ما علمه الله على ما أتاه، وهنا نلحظ أن بوادر الصراع تجلت في قوله تعالى:﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل:17] لقد قدم لنا النص السردي صورة لمشهد عسكري من خلال دلالة المفردة (حُشر)، ذلك أن "الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها"(8).

إنَّ هذه العملية في جمع وحشر الجن والإنس والطير توحي بالقوة التي خرج بها سليمان ليمضي في مسيرة الدعوة لدين الله، وحينها غادر أسوار مملكته، والمتأمل في هذه الآية يلحظ أن ثمة صراعٍ محتدمٍ مرتقب وقوعه دلَّ عليه مفردة (حُشر)، وأن لهذا الحشر العظيم ثمة حدثٍ يوشك أن يكون عاملًا وسببًا لما أخبر عنه القاص العليم بكل شيء من عملية الحشر، إلا أن أحداث السرد الآتية كان لها مسار آخر، إذ نجد أن الهدهد أحاط عن قوم سبأ قبل إحاطة سليمان بهم- كما عبرت أحداث السرد – ذلك عندما تفقد سليمان الهدهد ولاحظ غيابه، ومن ثم هدده بالعذاب أو الذبح، أو الإتيان بسلطان مبين، ولعلَّ الأخيرة التي ذكرها سليمان –الإتيان بسلطان مبين- تؤكد ثقة سليمان بالقدرة التي مكنها الله للهدهد، وقد تجلت حقيقة ذلك في منطوق الهدهد عندما قال لسليمان (أحطت بما لم تحط به)، وهكذا نلحظ قيمة ما أخبر عنه سليمان في تقديمه تعليم منطق الطير (وعلمنا منطق الطير)، وأن الله سيجعل للطير (الهدهد) دور محوري في الأحداث التي ستكون سببًا في إثارة جذوة الصراع بإحاطته عن قوم سبأ، وكذلك نجد في العبارة (أحطت بما لم تحط به) دلالة على أن مسيرة سليمان الجهادية هدفها البحث عن الأقوام التي تعبد الشمس. (9)

2-**وقع خبر الهدهد على نبي الله سليمان (عليه السلام)**: لقد أحاط الهدهد بنبأ عن ملكة سبأ وقومها –قبل إحاطة سليمان- يقول القاص العليم على لسان الهدهد: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ نجد أن الهدهد قدم تشخيصًا عميقًا لملكة سبأ وقومها وعبادتهم للشمس من دون الله، ولعلَّ المتأمل في هذا التشخيص الخارجي المتمثل في العبارات (امرأة تملكهم، أوتيت من كل شيء، عرش عظيم، يسجدون للشمس)، يصور لنا الدرجة العالية من المعرفة والعلم والإيمان الذي وصل له الهدهد، كما يؤكد ذلك استنكاره على قوم سبأ بقوله ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[النمل:25] وهذا الاستنكار يشخص عمق معرفة الهدهد بالله وإيمانه المطلق، ذلك أن ما قدمه الهدهد عن ملكة سبأ وقومها بذلك التشخيص الدقيق يُعدُّ دافعًا ومحركًا رئيسًا للصراع بين سليمان والملكة، إلا أن أحداث السرد تكسر توقع المتلقي، إذ قوبل ماشخصه الهدهد بحكمة من سليمان، ذلك أن الخبر العظيم الذي قدمه الهدهد صرف سليمان عن التفكير بعقابه إلى إثارة اهتمامه، وطلب المعرفة والتثبت والاستكشاف، وقد تجلى ذلك في قوله: (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ومن خلال منطوق نبي الله سليمان (عليه السلام) يتجلى أن جذوة الصراع المحتمل وقوعه قد خبت، وذلك للحكمة التي امتلكها نبي الله سليمان (عليه السلام)، وإلا فإن ذلك التشخيص الذي

قدمه الهدهد يُعدُّ باعثًا من بواعث الصراع المرتقب وقوعه بين نبي الله سليمان (عليه السلام) وملكة سبأ وقومها.

3-ردة فعل ملكة سبأ وقومها (مشهد الصراع الثاني):

عندما وصل كتاب النبي سليمان (عليه السلام) للملكة دار حوار بينها وبين قومها يقول تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

نلتمس في هذا النص الحواري تشخيصا للصراع في منطوق قوم الملكة حين طلبت مشورتهم، فكان ردهم بقولهم:(قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) ومن الواضح أن هذا القول جاء على لسان مستشارين عسكريين، إذ أبدوا جاهزيتهم الكاملة واستعدادهم للحرب، ورد العدوان عن مملكتهم إن اقتضى الأمر، ومن خلال التأمل في المفردة (أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ) نلحظ تجاوزهم أمر العناية بالجيش وإعداده إلى قدرتهم على تحقيق النصر من خلال قوتهم، والثبات من خلال خبرتهم بمواجهة الأعداء.

ويطالعنا في هذه الصيغة الحكائية الصراع بمنحاه الدرامي على نحو كبير، إذ ينطوي الحوار السردي بين ملكة سبأ وقومها على ملامح صراع مرتقب، يتضح ذلك من خلال الجو النفسي المتوتر المهيمن في ثنايا الحوار، وذلك عندما نرى ملكة سبأ تبث مخاوفها القلقة والمسيطرة عليها من سلطوية الملوك وتجبرهم، وهذا الفعل جعلها تتماوج داخل الثنائية الضدية المعبر عنها في (أعزة/أذلة)، ولعلَّ التضاديّة هنا قد قدّمت صورة التحوّل التي مسّت الحياة الذاتيّة والعامّة لبعض الأقوام، كما أنها تعزز تجربة واقعية حاصلة.

ومن الواضح أن هذه الثنائية تزيد من حدة الصراع بين سلطتين (الملكة وقومها)، و (نبي الله سليمان مع ما أوتي). بالإضافة أن لها دورًا في استمرارية الصراع وتشكله في واقع تواجه فيه الملكة سلطوية أقوام أُخر على مستويات زمنية متلاحقة، إذ تقوم بنية النص على علاقة جدلية بين زمنين، (الماضي/الحاضر) الماضي المتمثل في الأفعال (أفسدوها، جعلوا) وهذه الأفعال ركزت فيها الملكة على جانب المعاناة للجماعة، فمخاوف الملكة ليست مخاوف فردية تمس ملكها وعرشها، إنما هي مخاوف جماعية تمس قومها، إذ نجد أن الصراع الذي تخشاه الملكة لم ينحصر في الزمن الماضي، بل تؤكد على تجدده واستمراريته، وقد دلَّ على ذلك الفعل المضارع (يفعلون)، ولعلَّ تجدد واستمرارية الصراع شكل تأزمًا على نفسية الملكة، فتبدت مخاوفها من نشوب صراع خارجي عبرت عنه في حوارها مع قومها.

4-ردة فعل سليمان (عليه السلام) بعد تلقيه الهدية (مشهد الصراع الثالث):

تجلت ردة فعل سيدنا سليمان (عليه السلام) بعد تلقيه الهدية من رسول الملكة في قوله: {فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ} يتجلى الصراع في منحاه المتأزم في هذا الرد بأسلوبه الشديد ومفرداته، إذ ينكر سليمان (عليه السلام) على قوم الملكة ويوبخهم بقوله: {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} فليس مبتغاه المال، و لا لأجل ذلك كان خروجه منذ أن حُشر له وأوتي من كل شيء، فقد آتاه الله وهو غني عن مالهم {فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ} وهنا نجد أن الصراع وصل ذروته من خلال تحقير سليمان لهديتهم أنه لا قيمة لها عنده بقوله:{بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} لقد تخير سليمان مفردات توحي بالرفض والسخط وتأزم الموقف بينه وبين الملكة وقومها تجلى ذلك في المفردات:(**أتمودنن، هديتكم، تفرحون**)، وهذا التكثيف الدلالي الذي تحمله المفردات يوحي بشدة الصراع والاضطراب والتأزم الذي يموج به الموقف، بالإضافة أن الاحتدام الذي وصل ذروته من خلال هذه اللوحة المتأججة استدعى المواجهة في قوله: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)، وهنا نجد أن سليمان لا يذكر الملكة وأتى باسم الجمع في قوله {ارْجِعْ إِلَيْهِمْ} وفي ذلك ما يوحي بأن سليمان غير معترف بحكم ملكة سبأ تحقيرًا لها، وتوجيه الخطاب لقوم الملكة وعدم اختصاص الكلام للملكة نفسها يوضح أنها لغة مواجهة ورفض للجماعة، هذه اللهجة الشديدة تجلت في المفردات (**لنأتينهم، ولنخرجنهم**)، وقد شكلت صورة موحية بجسامة الحدث الذي حرك المشهد برمته نحو التوتر والصراع، وقد لعب الفعل المضارع دورًا حيويًا في تجسيد المعنى التدميري لقوم ملكة سبأ ما يوحي بشدة السخط بكل أساليبه.

ومما لاشك فيه أن سبب توجه سليمان إلى هذه النبرة الشديدة في الخطاب، وتوجيه تهديده لقوم ملكة سبأ يتعلق بعبادتهم للشمس من دون الله، إذ بلغت نفسية سليمان ذروتها من التأزم لعدم التسليم له من أول خطاب أرسله.

المبحث الثاني

وصف شخصية ملكة سبأ

قدم النص القرآني تشخيصا لملكة سبأ، وكشف عن أبعاد الشخصية الخارجية والداخلية بأسلوبين:

أولًا: التشخيص المباشر: وهو التعريف المباشر بالشخصية وسماتها، وقد عرَّف النص القرآني شخصية الملكة سبأ بأسلوب مباشر، وأعلن عن سماتها وصفاتها على لسان الهدهد في قوله:(إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ) لقد تجلى أول تشخيص على لسان الهدهد بقوله (وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) فكان أن شخصها القرآن بملكة سبأ ولم يصرح باسمها[10].

ثم وصف الملكة بـ(امرأة) وأنها تحكمهم من خلال قول الهدهد (تملكهم)، فكشف التشخيص عن مكانتها- عن مكانة هذه الشخصية ولم يصرح باسمها- للدلالة على أنها تحكمهم عن رغبتهم، وأنهم أملكوا أمرهم لها، فجعل (التملك) صفة ربطها بالعقل، وهذا يدل على ثقة قومها وتسليمهم للحاكم بالسيادة، وليس كما فسرها الآلوسي (تملكهم) بقوله: "أي تتصرف بهم ولا يعترض عليها أحد"[11] ، فمن خلال تتابع السرد نجد ما ينافي هذا التفسير، إذ نلحظ قولها خلال حوارها مع قومها:(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) وقد دلَّ على مشاركتها لهم ومشاورتهم في اتخاذ القرار.

وفي سياق تشخيص الهدهد لملكة سبأ يذكر أنها أوتيت من كل شيء، فكشف النص عن أسباب ملك الملكة واستحقاقها للسيادة، وهذه الأسباب مرتبطة بشخصيتها، نستشف ذلك من خلال منطوق الهدهد عندما شخص مملكتها (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) فقد حملت هذه العبارة دلالات عميقة وخطيرة حول كفاءة المرأة وحكمتها؛ ليكون لها كل ما امتلكته من أرض وسلطة وجنود وعرش وكل مستلزمات الحكم.

ولعلنا نلحظ في هذه الوحدة التشخيصية أن الهدهد لم يتطرق إلى صورة الملكة المادية في وصفه، ذلك يؤكد الهدف الذي خرج من أجله سليمان وانشغاله بالدعوة إلى الله، وأن هدفه ليس السيطرة وأخذ الملك، كذلك كانت الغاية من وصف الهدهد تقديم قدرات الملكة العقلية والفكرية ومعتقداتها الوثنية.

ثانيًا: التشخيص غير المباشر: وهو التشخيص الذي يستنطقه القارئ من خلال أفعال الشخصية وأقوالها، إذ يتجلى التشخيص غير المباشر من خلال مايعرضه السرد القرآني لنا من أقوال الشخصية، أو

أفعالها، أو الأحداث نفسها التي تصنعها الشخصيات داخل القصة، والتي تعكس لنا أبعادًا عنها، وهذا يؤكد أن "الشخصية الإنسانية والأفكار هي كيانات تترمز من خلال الفعل"[12].

وفي قصة ملكة سبأ عرض النص السردي بأسلوب غير مباشر تشخيصًا للملكة من خلال تعاملها مع كتاب سليمان الذي رمز إلى حدوث صراع مرتقب للملكة ومملكتها، واجتماعها مع الملأ ومشاورتهم، والخطوات التي اتخذتها لاحقًا للخروج من الموقف دون خسائر.

إذ أوضح النص السردي القرآني كيف استطاعت الملكة بحكمتها الخروج من ورطة رسالة سليمان إليها عبر الاستشارة، والتهدئة الداخلية، وكسب ثقة الملأ لتفويض الأمر لها، وتأييدها في إدارة الأزمة عبر خطة مدروسة وخطوات محكمة، وإرسال الهدية، ثم الرحلة للقاء الملك، ومن خلال تلك الأحداث نستشف تشخيصًا غير مباشر لملكة سبأ تجلى في الآتي:

1- **الرؤية الحكيمة:** إنَّ رؤيتها الحكيمة تجلت في منطوقها عند تعاملها مع كتاب سليمان ووصفها له بالكريم ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[النمل:29] فعدم تجاهل الملكة للكتاب يحيل إلى حكمتها وتواضعها، وعمق فهمها للدور المنوط بها، وفي مقابل ذلك فإنها "وصفته بالكرم لما فيه من تواضع سليمان، وجعله الأمر لهم، باسم الله فهو مبلغ عنه، لم يذكر ملكه وقدرته عليهم في هذا الكتاب"[13] ، وهي صاحبة ملك عظيم، وقومها أولو قوة وبأس شديد، ولكنها مع ذلك لم تستعجل في المواجهة والصدام، بل أنعمت النظر والتفكير في الأمر حتى قبل أن تواجه به قومها، فقدرت الملكة محتوى الرسالة، وعلى علم منها بخصائص شعبها الذي يميل للنزعة الانفعالية بما يمتلكون من قوة وإمكانات للمواجهة، اتجهت للتمهيد بوصف رسالة سليمان (عليه السلام) بالكريم قبل إخبارهم عن اسم المرسل، ثم أخبرتهم عن اسم مرسله وصفة الكتاب.

2- **المشورة** : لقد ترتب على تلقي الكتاب القيام بفعل الاستشارة، وهي طلب الرأي الصائب من الخبراء والمستشارين، وأهل العلم حول قضية أو أمر ما، واستكناه آرائهم قبل أن تتخذ قرارها ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾[النمل:32] لقد كان كل ما في الكتاب مع ما يتضمنه من تهديد يدفع نحو الغضب وفقدان السيطرة، ولكن الملكة رتبت للأمر ترتيبًا عكس سماتها العقلية والنفسية، وعلاوة على ذلك فإن الترتيب لم يكن متوقعًا، فهو أيضا أكثر إثارة من الكتاب نفسه .

وكما أن الاستشارة تكشف عن مكانتها، وأنها على الرغم مما تملك لا تستأثر بالحكم وحدها، وهذا يكشف عن الإدارة الجماعية للأزمات، وإشراكهم في القرار السياسي لتضمن ولاءهم المطلق من جهة أخرى،

كما أن عدم انفرادها برأيها يؤكد رجاحة عقلها، وسعيًا للحفاظ على سلامة قومها؛ لذا فقد تلطفت في مناقشة مضمون الرسالة مع قومها، والحوار بينها وبين مستشاريها يكشف هذا البعد.

أسلوب الحوار: إنَّ أهم وظيفة للحوار هي بناء الشخصية، إذ "يُعدُّ الكشف عن الأحاسيس الداخلية للشخصية ورفع الحجب عن عواطفها تجاه ماتمر به من حوادث، أو تجاه الشخصيات الأخرى من أبرز وظائف الحوار"[14]، وقد تجلى الحوار في قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ نلحظ في هذا النص كيف تعددت الأصوات الحوارية في الأفعال (قالت، قالوا)، ومن شأن هذا الحوار أن يكشف لنا طبيعة تلك الشخصيات وأبعادها النفسية من خلال الحوار المباشر بينها وتلقائيته المتجلية في المشهد الأول، والتي تشكلت على صيغة جدال حواري ينفعل مع احتدام الصراع بين ملكة سبأ وقومها ومضمون رسالة سليمان، وقد ظهرت الملكة في النص بوصفها محاورة بارعة في موقف صعب، حين عرضت الأمر على قومها لأول مرة، ولعلَّ أسلوبها في وصف الكتاب بـ(الكريم) قد هيأ قومها لقبول مافيه، ومكَّن من التحاور معهم بروية وعقلانية، ، ولأجل تجنيب قومها صراع المواجهة، تمكنت من تدارس الأمر ومحاورتهم ، ووجهت حوارهم معها نحو تفويضها بالأمر الذي تمخض عن قرار الملكة بإرسال هدية لاختبار الملك المهدد لملكها ، وكسب المزيد من الوقت .

ومن خلال أسلوب الحوار نجد كيف تجلت ردة فعلها عندما قال قومها (قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) فهي لم توافقهم على رأيهم، بل قدمت لهم رأيًا أكثر عقلانية في التعامل مع مضمون رسالة سيدنا سليمان (عليه السلام)؛ إذ جاء ردها حكيمًا وجازمًا يشير إلى عمق معرفتها، واتساعها، {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}، وتجلى خبرتها في حوارها مع قومها، فهي تحيلهم إلى تجارب واقعية لأقوام في الماضي البشري، وتؤكد على استمرار تلك التجارب في الواقع من خلال عبارة: (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ). ولعل أسلوب الحوار يحيلنا إلى القول بأن مدلول الشخصية لا يتشكل"من خلال ماتقوم به من أفعال، ولكن أيضا من خلال التقابل، أي من خلال علاقة الشخصية بشخصية أخرى"[15] .

3- **الخبرة في صنع القرار**: تجلى دور الملكة في صنع القرار من خلال حنكتها ودهائها عندما قالت: (مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) وهي عندما استجلبت الملأ أشعرتهم بأنها واحدة منهم، وأن دورها

لايقل عن دورهم، فكشفت بذلك عن شخصية الملكة التي لا تستأثر بالملك وحدها، ولم تحمل نفسها وزر الحكم كله، ومن خلال موقفها هذا تجلى فن القيادة المرنة في إدارة دفة الحكم، وعلى علم الملكة بقوة قومها وعتادهم وبردة فعلهم في عرض قوتهم، إلا أنها طلبت منهم المشورة لحسن سياستها وتعقلها، وبذلك نجد أن قومها أرجعوا الأمر إليها (فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ)، ولعلَّ الملكة إن فرضت رأيها فرضًا عليهم لكان منهم الرفض، ولحدث ما لاتحمد عقباه، إلا أنها جنبت نفسها وقومها الصراع حين استخدمت مفردات توحي بعدم اتخاذها أي أمر (قَاطِعَةً أَمْرًا)، والقطع: هو البت في الموضوع، ونلحظ أنها استخدمت (أمرًا) للشمولية، وتعني أي أمر سواء أكان هذا الأمر الذي جاء به سليمان أم غيره، وفي ذلك تقدير منها لقومها وكثير من التواضع لهم حتى لا يستشعروا منها التجبر والكبر، وحتى ينقادوا لها وتخمد نار قوتهم وبأسهم في نفوسهم المؤدية إلى الصراع ، ومن هنا نستدرك أن الملكة خاطبتهم من معرفة بنفسياتهم، وأنها تتجه في التعامل معهم من جهة كونها فردًا منهم لا كونها حاكمة عليهم تشاورهم وتأخذ برأيهم، ولعلَّ هذا الذي جعل ردة فعلهم تتجه إلى رد المشورة إليها، إذ تشكل قولهم هذا تشجيعًا لها من حيث دلالته على الطاعة الكاملة بلا تردد، وإحالة الأمر إليها تلجئها إلى التثبت في الأمر وعدم الاستعجال في ردة الفعل، لذلك نجدها تقول {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} إن الملكة بقولها هذا تشير إلى ترجيح ترك القتال في أول الأمر لمعرفتها أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، ثم أنها تذكرهم بأمر مهم يخصهم هم (الملأ)، فبغض النظر عن سقوط عرشها فإنها تنبههم إلى ماسيصير إليه الملأ كلهم (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وهذا رأيها دعاها للتثبت، ووضع اختبار بإرسال هدية لهم، ومن خلال هذا الفكرة استطاعت إيقاف صراع كاد يحدث بين قومها وقوم سليمان.

4- **المناورة السياسية:** تتمثل المناورة السياسية في لجوء الملكة إلى كسب الوقت لمحاولة فهم الآخر، والكشف عن دوافعه وحسن نواياه من خلال إعادة صياغة الخطاب العنيف إلى لغة مادية تعرضها بذكاء بإرسال هدية في قولها: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) لقد أظهر إرسال الهدية لسليمان، أن الملكة مفاوضة بارعة تدرك ما تريد، إذ لم تكتف بالرد على الكتاب مهما كان نوع هذا الرد، وإنما تجاوزت ذلك بإرسال هدية بغية دفع الأمور باتجاه آخر غير الذي كان يخطط له المرسل، وهنا نجد أن إرسال الهدية يكشف عن نوايا الملكة، وقد أرادت أن تقدم نفسها للملك بصورة وديعة، وتوصل إليه رغبتها وشعبها بالسلام من خلال ما تحيل إليه الهدية، كما رغبت باختبار قوة وحقيقة دعوة سليمان.

ومن سمات المناورة السياسية التي اتسمت بها ملكة سبأ أنها لم تتخذ قرارها النهائي إلا بعد رجوع الرسل من تسليم الهدية في قولها (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)، والغاية من هذا الانتظار استيضاح حقيقة هذا الطرف

ودوافعه ، فهي تمعن النظر وتبني مواقفها على اختبار الخصم أولًا، وليس على التوقع والظن، ومع علمها بقوة سليمان لكنها تختبر غايته وهدفه، فإن قبل الهدية افتدت شعبها بالمال حتى تستعد للأمر، وإن لم يقبل فقد فهمت صدق رسالته، ولهذا نجد أن الملكة حين رفض سليمان هديتها وخاطبها بلغة هجومية غاضبة بقوله: (أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) قررت الاستسلام دون صدام، لانتفاء الصراع وقد توضحت المقاصد.

لقد قدمت أحداث السرد تشخيصا لملكة سبأ في مواجهتها لمصير شعب بأكمله، وأثبتت تلك الأحداث والخطوات الحكيمة التي اتبعتها –على الرغم من عقيدتها الوثنية إلا أن ذلك لم يكن ليجعلها متعصبة لهذه العقيدة– استعدادها للعلم والمعرفة والإصغاء وسعة أفقها وقبولها للحق.

وعندما نستشف ذلك من خلال التأمل في النص السردي في قصة ملكة سبأ مع نبي الله سليمان (عليه السلام) نجد أن السرد القرآني لا يصور لنا الحركة الخارجية للأحداث فحسب. بل يكشف أيضاً عن الحركة الداخلية للأحداث والمتمثلة في حركة الأفكار والمشاعر التي صاحبت الشخصية الفاعلة للحدث، ومن خلال الحركة الداخلية للحدث كشف النص السردي عن الدور المحوري للملكة في النهوض الحضاري.

المبحث الثالث

دور ملكة سبأ في النهوض الحضاري

إنَّ معرفة دور ملكة سبأ في النهوض الحضاري يتطلب القراءة الواعية والكلية لأحداث السرد القصصي في قصة ملكة سبأ وقومها مع نبي الله سليمان (عليه السلام)، ذلك أن نظام الخطاب القرآني يفرض أن تراعى القراءة الكلية المترابطة بين أجزائه وعناصره، والنظر إلى قصصه من خلال الحبكة الرئيسة المتسلسلة والمترابطة لأحداثها ووقائعها "ويكون نتاج الترابط والتفاعل بين جميع عناصره وجميع موضوعاته وقضاياه هو توالد الدلالات الجديدة والمهمة وتفسير الخطاب القرآني في علاقته بالواقع الذي يعيشه الإنسان وإدخال الواقع في الخطاب القرآني"[(16)] .

إنَّ ثمة رابط بين أجزاء الأحداث والوقائع المنتمية للتاريخ البشري، ووحدة بنائية تتحقق من خلالها البصيرة التي يقدمها الله للمتدبر في آياته، ذلك أن كتاب الله يهدينا للطريقة والمنهج على أفضل وأحسن مستوى، لقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ).

فاكتمال الفهم لحوادث التاريخ وقصصه ومعرفة الأسباب المنطقية لوقوع الأحداث والظروف المحيطة يكشف لنا حقائق التاريخ، ونصل لفهم أهمية بعض الحوادث المسرودة وتداعياتها في الحاضر، ذلك أن فصولًا من تلك

الأحداث تشكل محورًا من محاور الصراع في الحاضر، والقرآن ينبهنا إلى هذه القيمة حين يقص علينا نبأ قوم سبأ، إذ يتجلى دور الملكة في النهوض الحضاري من خلال دورين مهمين في موضعين هما:

1- دور ملكة سبأ في تجنيب قومها الصراع:

تجلى دور ملكة سبأ في تجنيب قومها الصراع من خلال ثلاث خطوات:

1- **القرار الحكيم بإرسال هدية** في قولها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ إذ من خلال الهدية استطاعت دفع الأمور باتجاه آخر غير الصراع الذي كان من المتوقع حدوثه لو رفضت رسالة سليمان، فارتأت من خلال الهدية اختبار ما دعا إليه سليمان (عليه السلام)، وكسب الوقت لاتخاذ قرارها.

2- **الذهاب شخصيًا للقاء سليمان (عليه السلام)**: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ فكان ذهابها دليلًا على خضوعها وانقيادها لدعوة نبي الله سليمان (عليه السلام)، وعدم مكابرتها، وترتب على هذا الحدث دخولها في الإسلام .

3- **إعلان إسلامها**: تجلى في المشهد الأخير من الحدث ما يشير في دلالاته على النهوض، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ إذ نجد الملكة أمام اختبار يضعها سليمان فيه، فيكشف لنا النص بطريقة غير مباشرة من خلال مفردة (وصدها) عن افتقار ملكة سبأ إلى الهداية من الله على الرغم من علمها وذكائها، وأنها اتبعت هوى نفسها في قوله تعالى:{وَصَدَّهَا} عن الإيمان بأنه عرشها ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي حب ما كانت تعبد، فكرهت المسارعة إلى الإيمان ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ بما جاءت به الرسل من التوحيد، فبقي أثر الكفر في قلبها وبعَّدها عن الإيمان، فلذلك عندما رأت تجليات الصرح الممرد من القوارير رأت آية عظيمة فأسلمت وأعلنت إسلامها ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ومن هنا نجد أن إعلان إسلامها واهتدائها هو بداية النهوض والرخاء الذي سيتحدث عنه النص القرآني في سورة سبأ حين يصف قوم سبأ حال إسلامهم.

2- دور ملكة سبأ عند دخولها الإسلام:

استطاع النص السردي المقروء أن يضيء لنا جملة من الأوضاع والظروف الخارجية المحيطة به، ومن خلاله نستطيع قراءة دور ملكة سبأ في النهوض الحضاري من خلال تشخيص وضعية قومها في موضعين:

- **الموضع الأول (قبل الاسلام)**: تجلى التشخيص الأول للوضعية العامة للملكة وقومها على **لسان الهدهد** وهو تشخيص لأوضاع قوم ملكة سبأ قبل الإسلام في قوله (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) وهنا نلحظ أن الهدهد قدم معلومات عن وجود ملك/سلطة وجميع لوازمها (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) وكل ما يحتاجه الملك من ثروة، ومما يتطلبه الملك من مستشارين، جنود، قوة، وغيره من متطلبات الملك، ومع ما أوتيت الملكة وقومها إلا أن عقيدتهم الوثنية (عبادتهم الشمس) قد تصدرت موقع الأهمية في هذا التشخيص، ذلك أن الانحراف عن الهداية والصدّ عن السبيل كان موضع استنكار الهدهد الذي عبر بقوله (ألا يسجدوا) وهذا الاستنكار المتصدر من الطير دلالة على معرفته المطلقة بالله وإيمانه الراسخ بأن هدى الله يجلب النعم في السماوات والأرض، ولذلك قال الهدهد {الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ} بمعنى "يخرج المخبوء الذي لا يعلمه الناس أو لا يقدرون على إخراجه، والخبء {فِي السَّمَوَاتِ} يفسر بالمطر، فإخراجه إعلام البشر به {وَالأَرْضِ} مثل الكنوز وأول نبت الزرع والبترول، فالله هو الذي يهدي عباده لما كان محجوبًا عنهم في السموات والأرض"[17].

ومن خلال النظر في دلالة هذا النص نلحظ أن الوضعية التي كانت عليها الملكة وقومها مفتقرة إلى الكثير من الخيرات في السماوات والأرض، والتي لم تكن لتسخر لهم مع عقيدتهم الوثنية وعبادتهم للشمس، وهذا التشخيص الذي قدمه الهدهد يعكس صورة لطبيعة الحياة ومايفتقرون إليه، فهناك ملك وسلطة لكن لا يوجد رخاء، بمعنى أنهم يفتقرون إلى كثير من الخير على الرغم من ملكها العظيم وعرشها وما أوتيت. ومع هذا لا يخلو أن يكون هذا الملك والسلطة قائم على أساليب غير مشروعة كالسلب والنهب أو الجبايات المختلفة.

أما التشخيص الثاني فقد تجلى من خلال **الحدث**، إذ يكشف حدث دخول الملكة إلى الصرح الممرد عدم معرفتها هي وقومها بمثل هذه الأنواع من الفنون البنائية، نجد ذلك في قول القاص العليم: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾.

وقد فسرت القوارير الممردة بأنها: الزجاج المصقول الناعم والشفاف، وهي من فنون البناء التي تستخدم لتعبيد الأرضيات داخل القصور حتى ذلك التاريخ. ولذا فإن النص القرآن شخص أبرز ما كان عليه الواقع العلميّ، والحضاريّ في دولة نبي الله سليمان (عليه السلام)، من آثار حضاريّة راقيّة تدل على امتلاكهم وسائل علميّة متطوّرة جدًا هي ممّا سخره الله لعباده، وهي علومًا مهمّة تعدُّ من مقوّمات الحضارة، وبناء الحياة.

ويمكننا القول: أن فقدان أمة من الأمم هدى الله يشكل خسارة كبرى في ضياع العلوم التي تبني الحضارات وترتقي بالحياة، ووضعية ملكة سبأ وقومها قبل الإسلام شاهد على افتقارهم للعلوم التي أودعها الله في هذا الكون، وسخّرها لهم في باطن وظاهر السماوات والأرض، على الرغم مما أوتيت من كل مايتطلبه الملك؛ ولذا يبرز دور ملكة سبأ في الخروج من هذه الوضعية عندما جنبت قومها هذا الصراع، وسلكت بهم طريق الهداية معلنة إسلامها.

- **الموضع الثاني: أثناء الإسلام وبعد الإعراض.**

شخص النص لقرآني في سورة سبأ وضعيتين لقوم ملكة سبأ:

- **أولًا: وضعية قوم سبأ حال إسلامهم:** في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) وهنا يشخص النص القرآني وضعية سبأ[18]، وما فيها من الخير الكثير، إذ وصفه بأنه ﴿آيَةٌ﴾ وتدل هذه الآية على وجود رخاء اقتصادي في عبارة (جنتان) للدلالة على عبادتهم الله وحده وشكرهم لنعمته، ونلحظ في عبارة:﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أن من دلائل هذه الآية كثرة الرزق، وذلك بما أوحت به من العبارة من كثافة الجنان بأن يكون عن يمين مساكنهم وشمالها جنات مثمرة، ونبات صالح للأكل، وقد دلَّ على ذلك فعل الأمر (كلوا) ثم يتوجه الله سبحانه إليهم بالأمر الإلهي (اشكروا له) فدوام النعمة محفوفة بالشكر لله قولًا وعملًا.

وهنا نلحظ أن النهوض الحضاري لقوم سبأ كان في حقيقة الأمر مع إسلامهم، إذ أخرج الله لهم خبء السماوات والأرض، ورزقهم تلك الآية من الجنات التي لم تكن لتتوفر لهم على عقيدتهم الوثنية، وهذا ما أشار إليه الهدهد في قوله: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ إنَّ هذه تجليات عبادتهم الله وحده، فقد جعل الله لهم آية من الرخاء الاقتصادي الذي يعكس وجود حضارة، وأمرهم بالشكر له لدوامها واستمرارها، إلا أن تلك الحضارة مالبثت بالتلاشي والاندثار عندما انحرفوا عن هدى الله وأعرضوا عن ذكر ربهم وعن طاعته وعن شكره، واتبعوا إبليس فاستحقوا تغيير نعمتهم.

- **ثانيًا: وضعية قوم سبأ بعد إعراضهم وانحرافهم عن الهداية:** تجلى في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ نجد أن القصص القرآني يحكي لنا كيف تجلت خسارتهم الكبيرة في مختلف المجالات، ويعود سبب ذلك إلى انصرافهم وإعراضهم عن هدى الله، إذ تجلت خسارتهم بإرسال سيل مدمر عليهم ولم تبق لهم الجنتان "فاستبدلتا بجنتين بهما أشجاراً من الأراك والأثل ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وسمي (جنتين) مشاكلة، والأكُل هو ثمر بعض الأراك، والسدر: يسمى في اليمن عِلْباً وعَرْجاً، قال في (الصحاح): ((الخمط: ضرب من الأراك له حمل يؤكل))" [19].

وبهذا ندرك أنّ الأمّة التي تعرض عن هدى الله تخسر خساراتٍ كبيرةٍ جدًّا، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

وخلاصة القول: أن النص القرآني عندما يكشف عن الواقع النفسي والإيماني في سياق الأحداث لقوم من الأقوام، فإنه يلفت انتباهنا إلى أن الأحداث والمتغيرات في تلك التجارب التاريخية مرتبط بجانب هدى الله الذي تعيشه تلك الجماعات؛ لذا يجب أن نفهمها وأن نستفيد منها، وأن نبني عليها حركتنا نحن في الواقع، كما أن صراع قوم سبأ وإعراضهم يمثل مرتكزًا في صراع الحاضر، وينبهنا الخطاب القرآني إلى حقائقه فيما يتعلق بالقضايا والحوادث التي هي مدار صراع اليوم.

الخاتمة:

استشرف النص القرآني في قصة ملكة سبأ صراعًا مرتقبًا كاد يحدث، وقد اعتمد السرد القرآني في هذا الاستشراف للصراع على الحركة الخارجية للأحداث، والحركة الداخلية المتمثلة في حركة الأفكار والمشاعر التي صاحبت الشخصية الفاعلة للحدث، ومن خلال الحركة الداخلية للحدث كشف النص السردي عن الدور المهم لملكة سبأ في النهوض الحضاري، إذ أثبتت الأحداث والخطوات الحكيمة التي اتبعتها ملكة سبأ –على الرغم من عقيدتها الوثنية إلا أن ذلك لم يكن ليجعلها متعصبة لهذه العقيدة– استعدادها للعلم والمعرفة والإصغاء وسعة أفقها وقبولها للآخر المختلف عن عقيدتها.

كما أن هذا التشخيص يقدم لنا أنموذجًا للمرأة القدوة والمثال الذي يجب أن يحتذى بها في الحكمة والذكاء والحاجة إلى الهداية، والبعد عن التكبر والسلطوية، ثم من خلال دورها الملموس في تجنيب قومها الصراع تكمن أهمية هذا الدور في الواقع، إذ ارتأت اختبار صدق دعوة نبي الله سليمان (عليه السلام)، ولما تجلت لها الآيات أعلنت إسلامها وكان ذلك هو الحدث المحوري والأساسي للنهوض الحضاري لقومها، وهذا مما لاشك فيه يحقق غايات تربوية تعليمية لا تنفصل عن الغاية الكبرى وهي الهداية وبناء الإنسان والأمة القادرة على النهوض بمهمة الاستخلاف في الأرض.

لقد تجاوزت قصة الملكة سبأ غاية العبرة والعظة إلى الاستبصار بطرق توظيف تلك التداعيات والأحداث الواقعة في قصة الملكة سبأ في صراع الحاضر، ذلك أن صراعها ودوره في النهوض يشكل غايات ومقاصد، ولعلنا نلحظ أن من أهم تلك الغايات لذلك الدور النهضوي هو تقييم واقع المرأة اليوم، وما يمكنها من فهم الواقع الذي

وصلت إليه، وهذا أمر مهم في هداية القرآن لنا، إذ يمنحنا البصيرة والوعي، ومن خلال تجارب التاريخ تبنى الرؤى والمواقف الحكيمة لتصحيح الواقع وأسلوب تعاملنا مع الآخرين.

إنَّ النص القرآني عندما يكشف عن الواقع النفسي والإيماني في سياق الأحداث لقوم من الأقوام، فإنه يلفت انتباهنا إلى أن الأحداث والمتغيرات في تلك التجارب التاريخية مرتبط بجانب هدى الله الذي تعيشه تلك الجماعات؛ لذا يجب أن نفهمها وأن نستفيد منها، وأن نبني عليها حركتنا نحن في الواقع، كما أن صراع قوم سبأ وإعراضهم بعد تصديقهم وإسلامهم يمثل مرتكزًا في صراع الحاضر، وينبهنا الخطاب القرآني إلى حقائقه فيما يتعلق بالقضايا والحوادث التي هي مدار صراع اليوم.

ولذا فإن فقدان أمة من الأمم هدى الله يشكل خسارة كبرى في ضياع العلوم التي تبني الحضارات وترتقي بالحياة، ووضعية ملكة سبأ وقومها قبل الإسلام شاهد على افتقارهم للعلوم التي أودعها الله في هذا الكون، وسخّرها لهم في باطن وظاهر السماوات والأرض.

نتائج البحث:

مما توصلت إليه الدراسة الآتي:

1- أنَّ كفاءة المرأة في الحياة العامة والخاصة على حد سواء ذات علاقة وثيقة بهدى الله.

2- أنَّ فعل الاستشارة للمرأة يكشف عن قدرتها في الإدارة الجماعية للأزمات.

3- أنَّ المعرفة والوعي بأخبار الأمم الماضية والتجربة البشرية في القصص القرآني يساعد المرأة في صنع القرار، ويجعلها ذات رؤية حكيمة في الحياة العامة والخاصة.

4- أنَّ اعتماد المرأة في قصة ملكة سبأ على المناورة يكشف عن قدرتها في المفاوضة ودفع الأمور باتجاهات مغايرة للصراع.

5- أنَّ دور المرأة في النهوض الحضاري لا يمكن أن يتحقق مهما أوتيت من كفاءة وخبرة ورؤية حكيمة، مالم يكن مرتبطًا بهدى الله.

6- أنَّ الحضارة والعلوم بحاجة إلى هدى الله الذي يشكل ضامنًا لأن تبقى منتجة بشكلٍ مستمر لكلّ ما يشكل خيرًا للبشريّة.

7- أنَّ الغاية الأساسية من هدى الله سبحانه هو بناء الأمة القادرة على النهوض بمسؤولياتها ورسالتها الحضارية التي تتمثل في رسالة الاستخلاف في الأرض، وتعميرها وإصلاحها بالحق والعدل.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1- أبو الفضل شهاب الآلوسي، روح المعاني، تح: علي عطية، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، ج1، 2001م.

2- أبو القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

3- بدر الدين الحوثي، مختصر التيسير في التفسير، مركز الشهداء، صعدة، اليمن، ج2، ط1، 2012م

4- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1982م.

5- خالد محمد الشامي، كيف نقرأ التاريخ، الهيئة العامة للكتاب والنشر، صنعاء، ط1، 2017م.

6- عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، د.ط، 1980م.

7- لؤي خليل، الدهر في الشعر الاندلسي ، دار الكتب، ط1، 2010م.

8- مجموعة كتاب، القارئ في النص، "مقالات في الجمهور والتأويل" تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2007م.

9- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

10-محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر، د.ط.

11-محمد يوسف نجم، فن القص، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1995م.

12-وهب بن منبة، التيجان في ملوك حمير، تح: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، اليمن، ط1، 1347هـ.

الهوامش:

[1]) المعجم الوسيط: (مادة شخص) :475.

[2]) يُنظر: محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار النهضة ، مصر، د.ط: 526,

[3]) ابن منظور، لسان العرب ، تصحيح: أمين عبدالوهاب، ومحمد العبيدي، ج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ، 1999م. مادة (صرع): 326.

[4]) الزمخشري، أساس البلاغة، الهيئة العامة للكتاب، ط3، باب الصاد:14.

[5]) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1982م: 725 .

[6]) عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، د.ط، 1980م: 77

[7]) يُنظر: لؤي خليل، الدهر في الشعر الاندلسي ، دار الكتب، ط1، 2010م: 180

[8]) بدر الدين الحوثي، مختصر التيسير في التفسير، مركز الشهداء، صعدة، اليمن، ج2، ط1، 2012م: 378

[9])إنَّ النظر إلى مضمون الواقعة في قوله (يسجدون للشمس) وموضوعها في سياقها القصصي والتاريخي المفسر لها كما قدمها القاص المحيط بكل شيء جل وعلا، وفي علاقتها ببقية الأحداث والوقائع في قصة سليمان يجعلنا نصل إلى فهم وتشخيص عميق لطبيعة الانحراف عن التوحيد ودوائر الصرع، وكون اتخاذ عبادة الشمس المظهر الشامل الذي يميز انحراف البشر عبر التاريخ، فهذه الآية صورت لنا طبيعة الصراع وطبيعة القضايا التي تمحور حولها من مظاهر وخلفيات تمتد ويمكن رصد آثارها في واقع تلك الأقوام، ومن تلك القضايا الصراع بين أبونا آدم وتحرك الشيطان وحزبه ضد الإنسان وضد فكرة الاصطفاء واستخلافه في الأرض (مركز الكون الثابت)، إذ ارتكز مبدأ (عبادة الشمس= عبادة الشيطان) عبر التاريخ على مقولة أن الشمس هي المركز الثابت والأكبر للكون "وقد تبنى جاليليو ومن قبله (كوبرنيكس) النظرية الوثنية القديمة في عصر الثورة العلمية والنهضة الأوروبية الحديثة، وأبرز طروحات نشاط هذا العصر هو التوجه لإعادة تفسير الظواهر المختلفة بالاعتماد على النظريات الوثنية القديمة ومن ذلك التفسيرات المتعلقة بالنظام الشمسي الذي أسندها الخطاب العلمي (بنسخته الغربية الحديثة) إلى جاليليو ومن كانوا يمثلون المسار الوثني القديم. يُنظر: خالد الشامي، كيف نقرأ التاريخ، الهيئة العامة للكتاب والنشر، صنعاء، 2017م:85

[10]) أسهب كثير من الباحثين والكتاب في التاريخ والتراث العربي في وصف ملكة سبأ واسمها ونسبها، وكثير من تفاصيل قصتها مع سيدنا سليمان (عليه السلام)، غير أن تلك الروايات اختلطت بالخيال والخرافات إلى أن ذهب البعض إلى أن أم الملكة جنية، وغير ذلك مما هو منافٍ للواقع والحقيقة، إلا أن البحث غير معني بهذه التفاصيل: يُنظر: وهب بن منبة، التيجان في ملوك حمير، تح: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، اليمن، ط1، 1347هـ: 144

[11]) أبو الفضل شهاب الآلوسي، روح المعاني، تح: علي عطية، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، ج1، 2001: 203

[12]) مجموعة كتاب، القارئ في النص، "مقالات في الجمهور والتأويل" تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2007م: 97.

[13]) بدر الدين الحوثي، مختصر التيسير في التفسير: 164.

[14]) محمد يوسف نجم، فن القص، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1995م: 112

[15]) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م: 63

[16]) خالد الشامي، كيف نقرأ التاريخ: 54

[17]) بدر الدين الحوثي، مختصر التيسير في التفسير، مرجع سابق: 379.

[18]) سبأ في مأرب/اليمن

[19]) بدر الدين الحوثي، مختصر التيسير في التفسير، مرجع سابق:430